

جوار مدرستنا مدرسة بنات ، والبنات كن فى غاية الجمال ، وقد أعجبتنى مرة واحدة متهن فكنت أجلس على صخرة قرب تلك المدرسة وانتظر حتى تمر البنت فأظل أتأملها فتمر بى وعينى فيها ، وأظل أتأملها حتى تختفى عن بصرى ، وقد أحببتها وقلت لواحد من أصحابى إننى سأغامر وأكلمها ! فقال لى : إذن فأنت لن تراها بعد ذلك ، وأنت لو تعرف الدمياطيات إنهن فى غاية الفتنة والأدب. كفاية عليك أن تراها ، فهذه البنت لن ينال أحد منها شيئا إلا زوجها. وأخذت برأيه وظللت أتمتع برؤية البنت حتى نقلنا من دمياط إلى القاهرة.

ودمياط هذه كانت فيها صناعات كاملة وممتازة: صناعات الألبان: الجبن والزبد والقشدة واللبن الزبادى ، وطبعا اللبن نفسه. وكانت فيها صناعة الموبيليا. أجمل أصناف الموبيليا كانت تصنع فى دمياط وكنت أنا أمر بمصنع موبيليا فى حى يسمى الخمس ، بضم الخاء وكنت أتعجب من أصناف الموبيليا وأشكالها وصنعتها. وصناعة الأحذية. كانت دمياط أعظم مصنع للأحذية فى مصر ، ومصانع الأحذية هناك كانت تصنع كل أنواع الأحذية من الصنادل إلى البوت. ونسج الحرير ، فكانت دمياط تصنع أجمل الحرير المصرى وأجمل ملابس الحرير ، زرت مرة مصنع حرير ورأيت صاحب المصنع يعمل وسط العمال بكل اجتهاد ثم سمعت أن هذا المصنع سينقل إلى حلوان فذهبت وقلت لصاحب المصنع : لماذا ستنتقلون إلى حلوان؟ أنتم لن تجدوا بلدا أعظم من دمياط فقال لى : ومن قال لك إننا ننتقل من دمياط برغبتنا نحن؟ إنها الحكومة يا سيدى هى التى أمرت بالنقل. الحكومة تخرب كل شىء فى مصر أن رجال الحكومة مستبدون ، ونحن سعداء هنا ، ولكن ماذا نعمل؟

والغريب أن الدمايطة أنشأوا هذه الصناعات بالذكاء والعمل فإن منطقة دمياط ليست منطقة مسراع للبقر والجاموس ، ولكن الدمايطة يربون الجاموس والبقر والغنم والأعناز ويحصلون على الألبان ودمياط ليست منطقة أخشاب ولكنهم يستوردون الأخشاب من بلاد الشام.